المسائل الصرفية في معالم التنزيل
للإمام البغوي المتوفي ٥١٦هـ
" دراسة تحليلية"

إعداد

الباحث/ شهاب محمد عبد الجواد

باحث دكتوراه في الآداب تخصص/ اللغة العربية (نحو وصرف)

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ١٠ / ٨/٢٠٢٢م

تاريخ القبول : ٢٠/ ٨/٢٠٢٢م

ملخص:

لقد ورثنا أسلافنا تراثًا عظيمًا، نهض بتفسير ظواهر اللغة طيلة القرون الماضية، ودراسة علم الصرف هي الخطوة الأولى في إتقان العربية، ومعرفة صياغها، وفهم معانيها، وذلك لأن علم الصرف يهتم باللبنة الأولى من لبنات صرح العربية الراسخ، فهو يتناول الكلمة المفردة في وزنها وتركيبها وصيغتها وأصول حروفها وما طرأ عليها من تغييير .. هذا التغيير يعد أحد جوانب عبقرية اللغة العربية بوصفه وسيلة تهدف إلى تيسير جريها على لسان ناطقها، وذلك ضمن نظم صوتية منطقية فطرية ثابتة، إذا عرفها المتعلم فستفضي به إلى ميدان باهر من فهم أوضاع العربية ومعاني صياغها.

يقول ابن عصفور الإشبيلي (٦٦٩ هـ) : "وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية ؛ إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله بعد التركيب، إلا أنه أخر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة، حتى لا يصل إليه الطالب، إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس".

وقد شغل البحث الصرفي اللغويين قديما وحديثا؛ لأنه لا يمكن الفصل بينه وبين علوم العربية الأخرى فكان للبحث الصرفي دور في التفسير وتوضيح المعاني، وقد سخر الإمام البغوي في تفسيره (معالم التنزيل) الصرف في سبيل الوصول إلى مبتغاه من توضيح معاني الذكر الحكيم بصورة جلية، وقد اخترت تفسير البغوي ليكون مجالا لدراستي الصرفية هذه.

الكلمات المفتاحية: المسائل الصرفية، معالم التنزيل، دراسة تحليلية.

مقدمة:

الحمد لله الكبير المتعال، برأ الخلق على خير مثال، وصرف الكون بمشيئته فتفرّد بالقلب والإبدال، وجبر برحمته من عباده كُل نقصٍ وكَسْر، وقَسَمَ بينهم معيشتهم على مقتضى حكمته بالمدّ والقصْر.

والصلوات الطيبات على من جلَّ نسبه عن كل تصغير، وسَمَتْ مواهبه عن الوصف بتقليل وتكثير، وجُمعت له موجبات التفضيل وأسباب الكمال، وعلى آل بيته والمشرفين بصحبته الذين عبدوا الله حقّ العبادة، وجردوا نيتهم للخير فأثابهم الله الحسنى وزيادة، وبعد.

فإن الصرف والنحو هما أساس معرفة العربية، وما زال يطلبان المزيد من البحث والدرس؛ لتجديد شبابهما وتصحيح مفاهيمهما، ويفصل بينهما خط رفيع جدًا بحيث تتداخل أحيانًا الظواهر النحوية والصرفية، وعلم الصرف هو قسيم علم النحو ويتعامل مع الكلمة وصياغها عن طريق التحليل إلى أصغر عناصرها الصرفية، واللغة العربية أكثر لغات الأرض تصرفاً والدليل أن الجذر الواحد فيها تتوالد منه مجاميع من الوحدات اللغوية.

لقد ورثنا أسلافنا تراثًا عظيمًا، نهض بتفسير ظواهر اللغة طيلة القرون الماضية، ودراسة علم الصرف هي الخطوة الأولى في إتقان العربية، ومعرفة صياغها، وفهم معانيها، وذلك لأن علم الصرف يهتم باللبنة الأولى من لبنات صرح العربية الراسخ، فهو يتناول الكلمة المفردة في وزنها وتركيبها وصيغتها وأصول حروفها وما طرأ عليها من تغيير.. هذا التغيير يعد أحد جوانب عبقرية اللغة العربية بوصفه وسيلة تهدف إلى تيسير جريها على لسان ناطقها، وذلك ضمن نظم صوتية منطقية فطرية ثابتة، إذا عرفها المتعلم فستفضي به إلى ميدان باهر من فهم أوضاع العربية ومعاني صياغها.

يقول ابن عصفور الإشبيلي (٦٦٩ هـ) : " وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية؛ إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله بعد التركيب، إلا أنه أخر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة، حتى لا يصل إليه الطالب، إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس " (١)

وقد شغل البحث الصرفي اللغويين قديمًا وحديثًا؛ لأنه لا يمكن الفصل بينه وبين علوم العربية الأخرى فكان للبحث الصرفي دور في التفسير وتوضيح المعاني، وقد سخر الإمام البغوي في تفسيره (معالم التنزيل) الصرف في سبيل الوصول إلى مبتغاه من توضيح معاني الذكر الحكيم بصورة جلية، وقد اخترت تفسير البغوي ليكون مجالاً لدراستي الصرفية هذه.

ومن المسائل الصرفية المتعلقة بمصادر الأفعال الثلاثية في معالم التنزيل:

مصادر الأفعال الثلاثية:

يعرض هذا المبحث لمصادر الأفعال الثلاثية بأنواعها المختلفة؛ اللازم منها والمتعدي والقياسي والسماعي؛ فيتناول أولًا: أوزان المصادر (أبنيتها) وصيغها عند علماء العربية، ثم يعرض ثانيًا لهذه المصادر عند الإمام البغوي في تفسيره.

أولًا: المصادر (أوزانها وأبنيتها) عند الصرفيين:

والمصدر هو ما دل على الحدث غير مرتبط بزمن، وهو ما يفهم من قول ابن مالك:

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأَمْنٍ مِن أَمِن (٢)

وقد وضح ابن الناظم ذلك بأن"المراد بالمصدر اسم المعنى المنسوب إلى الفاعل أو النائب عنه، كالأمن، والضرب والنخوة،... وهذا المعنى هو المقصود بقوله:

(ما سوى الزمان من مدلولي الفعل) فإن الفعل وضع للدلالة على الحدث، والزمان فقط، فما سوى الزمان، المعبر عنه بالحدث هو اسم المعنى، المنسوب إلى الفاعل، أو النائب عنه فاسمه هو المصدر". (٣)

وإذن فالمصدر يدل على الحدث كما يدل عليه الفعل، كما يشارك المصدر فعله كل حروفه؛ لذا يقول ابن الخشاب مبينًا عمل المصدر لمشاركته الفعل حروفه ـ موضحًا عدم عمل الأسماء الأخرى ـ: "إذ لا تعمل لولا أن المصدر باينها بأن حروفه حروف ما أصله العمل وهو الفعل". (٤)

وقد بسط العلماء القول في المصادر من الناحية الصرفية: أوزانها وأبنيتها (صيغها) بأنماطها المختلفة ومثلوا لكل بناء منها، وما جاء منها على غير القاعدة؛ سواء أكانت أفعال هذه المصادر ثلاثية أم غير ثلاثية، مجردة أم مزيدة، متعدية أم لازمة، وسواء أكانت قياسية أم سماعية.

والباحث في الصرف العربي يدرك اهتمام الصرفيين بهذه المسألة (المصادر: أبنيتها وأمثلتها)؛ حتى أن بعضهم عقد لها فصلًا في مؤلفاته؛ كما في الفصل السابع من"الفصول الخمسون" لإبن المعطي، ومنهم من عقد لها بابا؛ كإبن عصفور وابن هشام وابن مالك وشراحه وغيرهم (٥) . ومنهم من جعل ذلك باب أبنية المصادر عمومًا، ومنهم من حدها بأبنية مصادر الثلاثي أو الثلاثي المجرد. (٦)

ففي مصادرالثلاثي ــ مثلًا ــ يقول السيوطي: "ومصادر الثلاثي كلها تأتي على فَعْل، وفِعْل، وفُعل، وفَعُول، وفَعال، وفُعَال، وفِعال، وفُعول، وفَعَل، وفِعَل، وفُعَل، وفَعِل، وفِعْلال، وفِعْلان، وفَعِيل، وفَعَلان، وفُعلان، وفَعالة، وفِعَالة، وفُعُولة، وفَعَلة، وفَعِلة، وفَعيلة. وقد تأتي المصادر قليلًا على فَعلى وفُعلى". (٧)

ويلاحظ الباحث في صرف العربية أن مصادر الثلاثي خاصة المجرد كثيرة، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها في أبنية معينة، وقد حاول بعضهم ذلك؛ يقول صاحب"الكُناش": "واعلم أن مصدر الفعل الثلاثي المجرد من الزيادة سماعي. والمشهور أنه اثنان وثلاثون، فهذه مصادر الثلاثي السماعية، وقد زادوا على ذلك ثلاثة أخر: (فَعَالية كطواعية) و (فُعَالة كبغاية) و (تِفعال كتِبيان)". [٨]

هذا وقد أجهد العلماء والباحثون أنفسهم في محاولة وضع قواعد لمصادر الثلاثي، بيد أن هذه القواعد كانت في مجملها ـ وسائل مُعِينة أكثر من كونها قواعد حاصرة، فإذا دلّ الفعل على حرفة أو شبهها ـ مثلاـ فإن يغلب على مصدره (فِعالة) كنِجارة، وإذا دلّ الفعل على كذا فإنه يغلب على مصدره كذا. [٩]

وتأتي الخلاصة في محاولتهم تقعيد مصادر الثلاثي متمثلة في قول ابن مالك:

وما أتى مخالفًا لما مضى فبابه النقل كـ (سُخْطٍ) و (رِضا) [١٠]

وهذا يدل على سيطرة السماع على مصادر الثلاثي ـ كما سبق بيانه ـ وعلى أن أي محاولة للتقعيد هنا إنما هي محاولة لتضييق الدائرة ليس أكثر.[١١]

ثانيًا: مصادر الثلاثي (أوزانها وأبنيتها) عند البغوي:

- **(المحيض) مصدر (حاضت) :**

في قوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى) (البقرة/٢٢٢) يجعل الإمام البغوي المحيض بمعنى الحيض فهو مصدر حاضت؛ حيث يقول:"أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا كالسير والمسير" [١٢] . فالبغوي هنا يجعل (المحيض) مصدرًا بمعنى (الحيض) وهو مذهب كثير من العلماء؛

يقول الزجاج: "يقال حاضت المرأة تحيض حيضًا ومَحاضًا ومحيضًا، وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب (المَفْعِل) و (المَفْعَل) جيّد بالغ فيه، يقال ما في بُرّك (مَكال) أي كيل ويجوز ما فيه (مَكيل)". (١٣)

وهو ماذهب إليه أيضًا النحاس والزمخشري وابن عطية وأبوبكر السجستاني، فالمحيض والحيض واحد والمحيض مصدر بمعنى الحيض. (١٤)

وقد اتسع أبو حيان في تفسيره (المحيض) ؛ فجعله (مفْعل) من الحيض يصلح من حيث اللغة للمصدر والزمان والمكان، مشيرًا إلى أن أكثر المفسرين على أن المراد به المصدر، كالزمخشري وابن عطية وابن المسيب، وأن الطبري قال فيه بأن المحيض اسم الحيض، مرجحًا المصدر بقوله: (هو أذى) ". (١٥)

- **(الميعاد) مصدرا من (الوعد):**

في قوله تعالى: (إن الله لا يخلف الميعاد) (آل عمران/٩) يرى البغوي أن (الميعاد) هو مفعال من (الوعد) ؛ حيث يقول:"... وهو مفعال من الوعد". (١٦)

معنى ذلك أن (ميعاد) هنا مصدر بمعنى الوعد، وقد ذهب إلى ذلك علماء التفسير واللغة؛ كالزمخشري وابن عطية والعكبري وأبي حيان والسمين الحلبي:

ففي (الكشاف) يقول الزمخشري:"والميعاد: الموعد. قرأ علي رضي الله عنه". وفي (المحرر الوجيز) يقول ابن عطية:"والميعاد: مِفْعال من الوعد".

وفي (الإملاء) يقول العكبري: "و (الميعاد) مفعال من الوعد قلبت الواو ياء لسكونهاوانكسارما قبلها". وفي (البحر المحيط) يقول أبو حيان:"و (الميعاد) الوعد". وفي (الدر المصون) يقول السمين:"والميعاد: مصدر، وياؤه عن واو لإنكسار ماقبلها كميقات". (١٧)

جلي - إذن - من أقوال هؤلاء العلماء أن (الميعاد) مصدر بمعنى الوعد، خاصة أن منهم من صرح بذلك ونَصَّ عليه، كالسمين الحلبي.

- **(شنآن) مصدر (شَنَأً) :**

في قوله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) (المائدة/٢) يذهب البغوي إلى أن (شنآن) بمعنى بُغْض وهو مصدر (شَنَأً) ؛ حيث يقول:" (شنآن قوم) أي: بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنئت، قرأ ابن عامر وأبو بكر (شَنْآن قوم) بسكون النون الأولى، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان، والفتح أجود؛ لأن المصادر أكثرها فعلان، بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها". (١٨)

ثمة قراءتان لـ (شنآن) - إذن - الأولى بفتح النون والثانية بإسكانها، ولا خلاف في الأولى على أنها مصدر، بل إن ذلك هو الأجود؛ لأن المصادر أكثرها على هذا البناء (فَعَلان)، أما على القراءة الثانية فجوَّزوا فيها الوصف (اسم الفاعل) والمصدر، وإن كان مجيئه مصدرًا هنا قليل، لكن لا يمكن إنكاره، يقول النحاس:"وأنكر أبو حاتم وأبو عبيد (شَنْآن) بإسكان النون لأن المصادر إنما تأتي في مثل هذا متحركة، وخالفهما غيرهما وقال: ليس هذا مصدرًا ولكنه اسم فاعل على وزن كسْلان وغصبان".(١٩) وقد ردَّ ابن عطية على من أنكر مصدرية (فعْلان) بسكون العين مخَطِّئًا إياه، مع احتمالية كونه وصفًا؛ حيث يقول:"...يقال: شنأتُ الرجل شنْئًا وشنَآنًا وشنْآنًا والفتح أكثر، كل ذلك إذا أبغضته، قال سيبويه: كل ما كان من المصادر على (فَعَلان) بفتح العين لم يتعد فعله إلا أن يشذ شيئ كالشَّنَآن، وإنما عدي (شنأتُ) من حيث كان بمعنى أبغضت. قال القاضي أبومحمد رحمه الله: فأما من قرأ (شنآن) بفتح النون، فالأظهر فيه أنه مصدر،... والمصادر على هذا الوزن كثيرة: كالنزوان والغليان... وأما من قرأ (شَنْآن) بسكون النون فيحتمل أن يكون مصدرًا، وقد جاء المصدر على هذا

الوزن في قولهم: لويته دينه لوْيانا،... قال أبوعلي: من زعم أن (فَعَلان) إذا سكنت عينه لم يكن مصدرًا فقد أخطأ، وتحتمل القراءة بسكون النون أن تكون وصفا". (٢٠)

إذن فما ذهب إليه الإمام البغوي هنا هو ما عليه أكثر العلماء، وهو الأكثر عند بعضهم وهو الأظهر عند آخرين؛ يقول أبو حيان: " (شنَآن) بفتح النون، وقرأ ابن عامر وأبوبكر بسكونها، ورويت عن نافع، والأظهر في الفتح أن يكون مصدرًا، وقد كثر مجيئ المصدر على فعَلان، وجوزوا أن يكون وصفًا، وفعلان في الأوصاف موجودة، نحو قولهم: حمار قطوان، أي: عسير السير،...وليس في الكثرة كالمصدر،... ومجيئ المصدر على فعْلان بفتح الفاء وسكون العين قليل". (٢١)

- **(خائنة) مصدر (خان) :**

في قوله تعالى: (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) (المائدة/١٣) يذهب البغوي إلى أن (خائنة) مصدر بمعنى (خيانة) فهي (فاعلة) بمعنى المصدر، كما يورد لها قولًا آخر على أنها بمعنى الفاعل؛ حيث يقول: "أي:على خيانة، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية، وقيل: هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل روَّاية...، وقيل:على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهماعلى خائنة أي على معصية"(٢٢). وإلى ذلك يذهب الزجاج؛ فقد جعل"خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أسماء المصادر كثيرة، نحو عافاه الله عافية، وقوله: (فأهلكوا بالطاغية) " (٢٣) . وإليه يذهب النحاس أيضًا؛ حيث يجعل خائنة هنا بمعنى المصدر خيانة، في قوله: "... قال قتادة خائنة خيانة". (٢٤)

وقد عرض ابن عطية لاختلافهم في معنى (خائنة) هنا؛ مابين القول بكونها مصدرًا، أو على أنها صفة لمؤنث (اسم فاعل) أي فرقة خائنة، أو على أن الهاء فيها للمبالغة، ذاكرًا قراءة الأعمش فيها بالمصدر (على خيانة منهم) .(٢٥)

ولم يخرج أبو حيان عن هذه الأقوال في تفسيره (خائنة) ؛ إذ"يحتمل أن يكون الخائنة مصدرًا كالعافية، ويدل على ذلك قراءة الأعمش (على خيانة) أو اسم فاعل والهاء للمبالغة كراوية".(٢٦)

- **(حَرَجًا) مصدر (حَرِج) :**

في قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجا) (الأنعام/١٢٥) يورد البغوي قراءتين في (حرجا) بفتح الراء وبكسرها، مشيرًا إلى أنهما لغتان، ذاكرًا قول سيبويه فيهما بأنها بالفتح المصدر وبالكسر الاسم، يقول البغوي:" (حرجا) قرأ أهل المدينة وأبوبكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان مثل الدنِف والدنَف، وقال سيبويه الحَرج بالفتح المصدر (كالطلب، ومعناه ذا حرج)، وبالكسر الاسم، وهو أشد الضيق". (٢٧)

ويجعل التحاس في (حرج) ثلاثة أقوال: أنها بالكسر اسم فاعل، وبالفتح مصدر وصِف به كرجل عَدْل، وبالفتح أيضًا هي جمع حَرَجَة بمعنى شدة الضيق. (٢٨)

ويحرر ابن عطية الكلام في (حرجا) هنا على قولين؛ فبعد أن يذكر فيها القراءتين بفتح الراء وبكسرها، ذاكرًا أن من فتَح الراء كان وصفًا بالمصدر، ومن كسر الراء اسم فاعل كدَنِف(٢٩). وإلى ذلك يذهب أبو حيان؛ حيث يذكر أنه"قرأ نافع وأبوبكر (حَرَجا) بفتح الراء، وهو مصدر، أي: ذا حرج، أو جعل نفس الحرج، أو بمعنى (حرِج) بكسر الراء". (٣٠)

وإلى هذين المعنيين في (حرج) يشير ابن منظور في (اللسان) حيث يقول:"والحَرَج: الضيق. وحَرِج صدره يَحْرَج حَرَجًا: ضاق فلم ينشرح لخير، فهو حَرِجٌ وحَرَجٌ، فمن قال حَرِج ثنّى وجمع ومن قال حَرَجٌ أفرد،لأنه مصدر" (٣١). (كَذِب) مصدرًا: في قوله تعالى: (وجاءوا على قميصه بدم كذب) (يوسف/١٨) يجعل البغوي (كَذِب)

في الآية مصدرًا وصفًا لـ (دم)، أو هو من قبيل وضْع المصدر موضع الاسم؛ حيث يقول: "أي: بدم هو كذب،لأنه لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم" [٣٢] . ويذهب النحاس هنا إلى أن (بدم كذب) مجاز، أي ذي كذب، مثل (واسأل القرية) [٣٣] . ويفسر ابن عطية وصْف الدم هنا بأنه (كذب) على أمرين: الأول على معنى: بدم ذي كذب، والثاني على معنى: مكذوب عليه، ويجعل الدم الكذب عنده وصْف بالمصدر على سبيل المبالغة [٣٤] . ويورد أبوحيان قراءتين لـ (كذِب) الأولى ـ وهي قراءة الجمهور ـ بالجر وصْف لـ (دم) على سبيل المبالغة، أو على حذف مضاف، أي: ذي كذب؛ لأنه لمّا كان دالًا على الكذب وصِف به، وإن كان الكذب صادرًا من غيره. والقراءة الثانية لزيد بن علي (كذبًا) بالنصب، مصدرًا حالًا أومفعولًا من أجله [٣٥] . وجلي أنه على القراءتين فإن (كذبًا) تكون مصدرًا، سواء أوقعت وصفًا أو حالًا أو مفعولًا لأجله. جاء في (اللسان) : "كذب: الكذب: نقيض الصدق، كَذَب يَكذِب كَذِبًا وكِذْبًا وكِذبة وكَذبة: هاتان عن اللحياني".[٣٦]

- **(حَرَضًا) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حَرَضا) (يوسف/٨٥) يجعل البغوي الحرض بمعنى الفساد في الجسم والعقل، وهو هنا مصدر؛ حيث يقول: "وأصل الحرض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو الهرم أو العشق، يقال: رجل حَرَضٌ وامرأة حَرَض، ورجلان وامرأتان حرض، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث،لأنه مصدر وضع موضع الاسم". [٣٧]

ويذهب النحاس إلى مصدرية (حرضا) هنا، لذا فهو لا يثنى ولا يجمع؛ حيث يقول:"يقال:حَرَض وحَرُض حُرُوضا وحُرُضَةً، إذا بلِي وسَقِم، ورجل حارض وحَرَضٌ إلا أن حرضا لا يثنى ولايجمع"[٣٨]. ويورد ابن عطية ثلاث قراءات في (حرضا) : قراءة الجمهور (حَرَضا) بفتح الراء والحاء، وقراءة الحسن بن أبي الحسن بضمهما، وقراءة

فرقة (حُرْضا) بضم الحاء وسكون الراء، ذاهبًا إلى أن هذا كله المصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع بلفظ واحدكـ (عَدْل) [٣٩] . كما يورد أبوحيان قولا لمجاهد يجعل فيه الحرض مصدرا وإن قدره بمعنى الموت[٤٠]. كما يذهب ابن منظور إلى أن"الحَرَض تُرك جمعه لأنه مصدر بمنزلة دَنَفٌ... وقال الزجاج: من قال رجل حَرَضٌ فمعناه ذو حَرَض ولذلك لا يثنى ولا يجمع... وكذلك كل ما نعت بالمصدر".[٤١]

- **(سَدًّا) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (حتى إذا بلغ بين السدين) (الكهف/٩٣) يرى البغوي أن (السَّد) بالفتح مصدر، وبالضم اسم؛ حيث يقول: (السَّد) بالفتح مصدر، وبالضم اسم، وهما هاهنا: جبلان، سَدَّ ذوالقرنين مابينهما، حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم".[٤٢]

ويذكر النحاس فيها أقوالا كثيرة، يختار منها، جاعلًا هنا القراءة بالضم أولى؛ حيث المقصود الاسم، فيقول:"والحق في هذا ما حُكي عن محمد بن يزيد قال: السَّدَ المصدر وهذا قول الخليل وسيبويه، والسُّدّ الاسم. فإذا كان على هذا كانت القراءة بالضم أولى،لأن المقصود الاسم لا المصدر" [٤٣] . ويذكر ابن عطية القراءتين ومن قرأ بهما، ورأي الخليل وسيبويه السابق، ورأي الكسائي بأنهما لغتان بمعنى واحد؛ إذ يقول:"وقرأ نافع وابن كثير (السُّدين) بضم السين،...وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله في جميع القراءات...واختلف بعد، فقال الخليل وسيبويه: الضم هو الاسم والفتح المصدر، وقال الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنى واحد".[٤٤]

ويذكر أبو حيان القراءتين في (السّدّين) بالفتح وبالضم، ومن قرأ بهما، كما يذكر قول الكسائي السابق بأنهما لغتان بمعنى واحد، وقول الخليل وسيبويه بأنه بالضم الاسم وبالفتح المصدر.[٤٥]

- **(رَتْقا) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) (الأنبياء/٣٠) يرى البغوي أن (رتْقا) مصدر كالصوم ولذلك أفردها على الرغم من أنها نعت السماوات والأرض؛ حيث يقول:"وإنما قال (رتقا) على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض،لأنه مصدر وضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما". (٤٦)

وعلى ذلك يوضح النحاس مجيء (رتقا) مفردًا؛ فلم يقل رتقين لأنه مصدر، أي:ذواتي رتقٍ[٤٧]. وكذلك يذهب ابن عطية إلى أن (الرَّتق) مصدر وُصف به كالزور والعدل (٤٨).

ويورد أبوحيان القراءتين في (رتقا) : بسكون التاء وهو مصدر يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى، وبفتح التاء، وهو اسم المرتوق، ثم يورد قول الرازي بأن الأكثر في هذا الباب أن يكون المتحرك منه اسمًا بمعنى مفعول والساكن مصدرًا، لكن هنا الأولى أن يكونا مصدرين(٤٩). وقد جاء في لسان العرب:"الرَّتق ضد الفتق... رتقه يرتُقُه ويرتِقُه رتْقا فارتتق أي التأم. قال:وقال كانتا رتقا ولم يقل رتقين لأنه أخذ من الفعل، وقال الزجاج: قيل رتقًا لأن الرتق مصدر". (٥٠)

- **(إماما) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (واجعلنا للمتقين إماما) (الفرقان/٧٤) يفسر البغوي (إماما) بمعنى أئمة، وبمعنى المصدر؛ حيث يقول:"أي أئمة يقتدون في الخير بنا، ولم يقل:أئمة، كقوله تعالى: (إنا رسول رب العالمين) (الشعراء/١٦) وقيل: أراد أئمة كقوله تعالى: (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) (الشعراء/٧٧) أي: أعداء،...وقيل:لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال: أمّ إماما، كما يقال: قام قياما، وصام، صياما" (٥١).

ويعلل النحاس بأن (إماما) لم يُجمع لأنه مصدر، ولو جمع يراد به اختلاف الأجناس لجاز[٥٢] . وخرجه ابن عطيه على انه جمع (آمٍّ)، مثل قائم وقيام، أو على أنه مفرد اسم جنس.[٥٣]

ويذكر أبوالبركات الأنباري أن في (إماما) وجهين.أحدهما: أن يكون إمامًا واحدًا وأريد به الجمع، كقولهم: (نزلنا الوادي فصدنا غزالا كثيرًا) أي: غزلانا، وهذا كثير في كلام العرب. والثاني:أن يكون جمع (آم)، وأصله (آمم) على وزن (فاعل)، وأدغم لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة، وصاحب يجمع على فعال نحو قائم وقيام، وصاحب وصحاب.[٥٤]

بيد أن العكبري يذكر في (إماما) أربعة أوجه: أحدها أنه مصدر مثل قيام وصيام، والثاني أنه جمع (إمامة)، والثالث هو جمع (آم)، والرابع أنه واحد اكتفي به عن أئمة.[٥٥]

- **(الطاغية) مصدرًا:**

في قوله تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) (الحاقة/٥) يفسر البغوي (الطاغية) بالطغيان فهي مصدر، كما يجعلها نعتًا على أحد الأقوال؛ حيث يقول:"أي بطغيانهم وكفرهم. وقيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بفعلهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: (كذبت ثمود بطغواها) (الشمس/١١) وقال قتادة: بالصيحة الطاغية".[٥٦]

ويذهب الزجاج والنحاس إلى هذين القولين: فأهلكوا بالطغيان، أو أهلكوا بالجماعة الطاغية. [٥٧]

كما يذكر ابن عطية في (الطاغية) أقوالا؛ قال قتادة: معناه الصيحة، وقال قوم: المراد بسبب الفئة.

الطاغية، وقال ابن زيد ما معناه: (الطاغية) مصدركالعاقبة، فكأنه قال: بطغيانهم، وقاله أبوعبيدة[٥٨]. والأكثر الظاهر في هذه الأقوال أن (الطاغية) هنا بمعنى المصدر، كما يبدو في تفسير أبي حيان؛ حيث يذكر قول قتادة (بالطاغية) بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة، وقول مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها، وقول ابن عباس وابن زيد أيضًا وأبوعبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة، فكأنهم قالوا بطغيانهم، واختار الطبري وغيره أن الطاغية هي الصيحة. [٥٩]

- **(ناشئة) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا) (المزمل/٦) يذكر البغوي في تفسير (ناشئة) أقوالًا كثيرة؛ منها أن (ناشئة الليل) بمعنى ساعاته. لكن الأكثر في هذه الأقوال أن (ناشئة) بمعنى (القيام) فهي مصدر؛ حيث يقول:" (ناشئة الليل) أي ساعاته كلها، وكل ساعة منه ناشئة،... وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. وقال الأزهري: (ناشئة الليل) قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو" [٦٠]. ويكشف الزمخشري في (ناشئة الليل) عن معان عدة، منها النفس الناشئة بالليل، ومنها قيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشا إذا قام ونهض على فاعلة: كالعاقبة، ومنها ساعات الليل[٦١] . كما يجعلها النحاس من نَشَأَ إذا ابتدأ [٦٢]. و(ناشئة) عند ابن عطية جمع (ناشئ)، وهي ساعات الليل كلها أومابين المغرب والعشاء أو ما

بعد العشاء على ما ذكره العلماء فيها [٦٣] . كما يفسرها أبو حيان على معنيين ـ في ضوء ما قيل فيها ـ الأول: على أن ناشئة جمع ناشئ، أي قائم. والثاني: بمعنى قيام الليل، على أن الناشئة مصدر، من نشأ إذا قام،على فاعلة كالعاقبة.[٦٤]

- **(إياب) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (إن إلينا إيابهم) (الغاشية/٢٥) يفسر البغوي (إيابهم) بمعنى رجوعهم بعد الموت، فهو مصدر من آب يؤوب، وهو مصدر كذلك على قراءة التشديد (إيَّابهم) ؛ حيث يقول: " (إيابهم) رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤوب أوْبا وإيابا، وقرأ أبوجعفر: (إيَّابهم) بتشديد الياء، وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فإنه قال يقال:أَيَبَ إيّابا على فعل فيعالا"[٦٥]. ويجعل ابن عطية قراءة الجمهور (إيابهم) بالتخفيف، مصدر من (آب يؤوب) إذا رجع، وهو الحشر والرد إلى الله تعالى.[٦٦]

وهو كذلك مصدر عند العكبري على التخفيف والتشديد؛ فـ" (الإياب) مصدر آب يؤوب مثل القيام والصيام، أبدلت الواو ياء لانكسار ما قبلها واعتلالها في الفعل، ويقرأ بتشديد الياء وأصله إيواب على فيعال فاجتمعت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون فأبدلت الواو ياء وأدغم" [٦٧] . ولم يخرج أبو حيان عن القول بمصدرية (إيابهم) مخففًا أو مشددا؛ فهو بتخفيف الياء مصدر آب، وبتشديدها مصدر الفعيل من آب على وزن فيعال، أو مصدر كفوعل كحوقل على وزن فيعال أيضًا كحيقال، أو مصدر الفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار، أو على قول آخر يكون أصله إوابا مصدرأوّب نحو كذّب كذّابا ثم قيل إيوابا فقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها[٦٨] . هذا وقد ذكر ابن منظور فيه صورًا متعددة كلها للمصدر من (آب) بمعنى رجع؛ حيث

يقول: "أوب: الأوْب: الرجوع.آب إلى الشيء: رَجَع، يؤوب أوْبا وإيابا وأوْبة وأيْبَة، على المُعاقبة ... فقد آب يؤوب إيابا إذا رجع".(٦٩)

- **(الرُّجْعَى) مصدرًا:**

في قوله تعالى: (إن إلى ربك الرجعى) (العلق/٨) يجعل البغوي (الرجعى) بمعنى المرجع، فهي مصدر على وزن (فُعْلَى) ؛ حيث يقول:" (الرجعى) أي المرجع في الآخرة، مصدر على وزن فُعْلَى(٧٠). وعلى ذلك يحرره ابن عطية؛ فـ (الرجعى) مصدر كالرجوع، وهو على وزن العُقْبى ونحوه(٧١). وهو كذلك عند الزمخشري؛ فالرجعى: مصدر كالبُشْرى بمعنى الرجوع(٧٢). وعند أبي حيان أيضًا؛ فالرجعى مصدر على وزن فُعْلَى، الألف فيه للتأنيث(٧٣). وقد أكد هذه المصدرية ابن منظور في قوله:"رَجَعَ:يرجِع رَجْعًا ورُجُوعًا ورُجْعَى ورجعانًا ومرجعًا ومرجعة: انصرف. وفي التنزيل: (إن إلى ربك الرجعى) أي الرجوع والمرجع، مصدر على فعلي.(٧٤)

الهوامش

(١) الممتع في التصريف ١/٣٣٠-٣٣١.

(٢) ألفية ابن مالك (في النحو والصرف)،٦٧. وانظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبدالقاهر الجرجاني١/٥٥٣، تحقيق: كاظم بحر المرجان، العراق.

(٣) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم،٢٦٢،٢٦٣.

(٤) المرتجل،لابن الخشاب،٢٤٣، تحقيق ودراسة: علي حيدر (١٣٩٢هـ) دمشق.

(٥) انظر في ذلك: الفصول الخمسون لابن المعطي٢٥٩:٢٦٠، المقرب لابن عصفور٤٨٦، أوضح المسالك١٦٠:١٦٣، شرح جمل الزجاجي، لابن هشام.

(٦)) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦٨:٤٧٢، إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك٧٠،٧١، تحقيق: د/محمد مهدي عبدالحي (١٤٢٣) السعودية. انظر: شرح شافية ابن الحاجب١/١٥١: ١٨٠.

(٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي٢/٩٦، تحقيق: محمد أحمد جادالمولى وآخرين (١٩٨٧) المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٨) الكناش في النحو والصرف،لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي١٨٦،١٨٧، تحقيق: د/علي الكبيسي، د/صبري إبراهيم (١٩٩٣) قطر.

(٩) انظر: شرح شافية ابن الحاجب١/١٥١ـ ١٦٣، تصريف الأسماء في اللغة العربية٢٠ـ ٢٢، د/شعبان صلاح، دار غريب (٢٠٠٥) القاهرة.

(١٠) ألفية ابن مالك في النحو والصرف٩٧.

(١١) انظر: تصريف الأسماء في اللغة العربية٢٢، د/شعبان صلاح.

(١٢) تفسير البغوي١/٢٥٧.

(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج١/٢٩٦، تحقيق: د/عبدالجليل عبده شلبي، ط١ (١٩٨٨) عالم الكتب، بيروت.

(١٤) انظر: إعراب القرآن،لأبي جعفر النحاس١/٣١٠، الكشاف١/٢٦٥، المحرر الوجيز١/٥٤٢، تفسير غريب القرآن،١٧٤،لأبي بكر السجستاني (١٩٧٣) .

(١٥) انظر: البحر المحيط١٧٧/٢، الدر المصون٤١٩/٢، لسان العرب٢٨٨/٤، المزهر في علوم اللغة٩٨/٢.

(١٦) تفسير البغوي١٢/٢.

(١٧) الكشاف٣٣٩/١، المحرر الوجيز١٦٥/٢، إملاء ما من به الرحمن١٢٥/١، البحر المحيط٤٠٤/٢، الدر المصون٣٤/٣.

(١٨) تفسير البغوي٩/٣.

(١٩) إعراب القرآن للنحاس٦/٢.

(٢٠) المحرر الوجيز٩٢/٣،٩٣.

(٢١) البحر المحيط ٤٣٦/٣،٤٣٧، وانظر: لسان العرب ١٤٠/٨.

(٢٢) تفسير البغوي٣١/٣.

(٢٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٠/٢.

(٢٤) إعراب القرآن للنحاس١١/٢.

(٢٥) المحرر الوجيز ١٣٠/٣.

(٢٦) البحر المحيط ٤٦٢/٣، وانظر: لسان العرب١٨٣/٥.

(٢٧) تفسير البغوي١٨٦/٣.

(٢٨) إعراب القرآن للنحاس ٩٥/٢.

(٢٩) انظر: المحرر الوجيز ٤٥٧/٣.

(٣٠) البحر المحيط ٢٢٠/٤.

(٣١) لسان العرب ٧٤/٤.

(٣٢) تفسير البغوي: ٢٢٢/٤.

(٣٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢.

(٣٤) المحرر الوجيز٥٥/٥.

[٣٥] البحر المحيط ٢٨٩/٥.

[٣٦] لسان العرب ٣٧/١٣.

[٣٧] تفسير البغوي ٢٦٨/٤.

[٣٨] إعراب القرآن للنحاس ٣٤٣/٢.

[٣٩] المحرر الوجيز ١٣٦/٥.

[٤٠] البحر المحيط ٣٣٤/٥.

[٤١] لسان العرب ٨٨/٤.

[٤٢] تفسير البغوي ٢١٠/٥.

[٤٣] إعراب القرآن للنحاس ٤٧٢/٢.

[٤٤] المحرر الوجيز ٦٥٨/٥.

[٤٥] انظر: البحر المحيط ١٥٣/٦.

[٤٦] تفسير البغوي ٢١٧/٥.

[٤٧] إعراب القرآن للنحاس ٦٩/٣.

[٤٨] انظر: المحرر الوجيز ١٦٣/٥.

[٤٩] انظر: البحر المحيط ٢٨٦/٦.

[٥٠] لسان العرب ٩٥/٦.

[٥١] تفسير البغوي ٩٩/٦.

[٥٢] إعراب القرآن للنحاس ١٦٩/٢.

[٥٣] انظر: المحرر الوجيز ٤٦٤/٦.

[٥٤] انظر: البيان في غريب إعراب القرآن،لأبي البركات الأنباري ٢١٠/٢، تحقيق: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٠) .

(٥٥) انظر: إملاء مامن به الرحمن٢/١٦٥.

(٥٦) تفسير البغوي٨/٢٠٧.

(٥٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥/٦٩،إعراب القرآن للنحاس٥/١٩.

(٥٨) انظر: المحرر الوجيز٨/٣٨٥.

(٥٩) انظر: البحر المحيط ٨/٣١٥.

(٦٠) تفسير البغوي ٨/٢٥٣.

(٦١) الكشاف٤/٦٣٨.

(٦٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/٥٦.

(٦٣) انظر: المحرر الوجيز ٨/٤٤٢.

(٦٤) انظر: البحر المحيط ٨/٣٥٤،٣٥٥.

(٦٥) تفسير البغوي ٨/٤١١.

(٦٦) انظر: المحرر الوجيز ٨/٦٠٣.

(٦٧) إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٨٦.

(٦٨) انظر: البحر المحيط ٨/٤٦٠.

(٦٩) لسان العرب١/١٨٨.

(٧٠) تفسير البغوي ٨/٤٧٩.

(٧١) انظر: المحرر الوجيز ٨/٦٥٤.

(٧٢) انظر: الكشاف ٤/٧٧٧.

(٧٣) البحر المحيط ٨/٤٨٩.

(٧٤) لسان العرب ٦/١٠٧.